هؤلاء هم (اهل المدى)..

(المدى) مثل الحب الاول .. كلما تقدم به الزمن ازددت شوقاً اليه

سيدة ضاحكة العينين والشفتين.. زغرودة على ضفتي شط العرب أو دجلة أو الفرات.. ولا أدري لماذا اتذكر ترنيمة الجواهري "حييت سفحك عن بعد فحييني يا دجلة الخير يا أم البساتين" حين أتذكر السيدة (المدى).

صافي الياسري

كانت الجلسة الأولى (الجلسة الرسمية) في قاعة حوار أو في حدائقها وكان الحضور محدوداً وتم في تلك الجلسة تحديد المهام وساعة الصفر التي تنطلق فيها (المدى) إلى الوجود عراقياً أو بغدادياً، وعلى قدح شاي عراقي ودع الفريق أطرافه فرداً فرداً.. وبدأت لعبة الكتابة يوم فضحت (المدى)شطار (الكوبونات) النفطية من الإعلاميين والصحفيين العرب، ضحك العراقيون وبكوا، لكنهم على كل حال شكروا لـ(المدى) صراحتها وصدقها ويوم اقتحمت (المدى) بؤر الدم والموت التي تراجع عن الوصول إليها خيرة صحفيي وإعلاميي العالم، صفق الأعداء قبل الأصدقاء لتلك الجرأة النبيلة في أداء الواجب والمهمة، وعلى أبسط من هذا تستحق (المدى) هدايا التبريك.. فكيف بها وهي تقدم الشهداء؟!؟

من أين نبدأ؟

ما رأيك عزيزي القارئ أن نبدأ كلمتنا الأولى من (أبو رياض) فراش الجريدة الأول، أو ضحكة الجريدة وابتسامتها السامية ونبرة روحها ومن لا يصدق فليتفضل ويطرق ابواب أو بوابة جريدتنا.. فيصافح في مكتب الاستقبال (أبو عمر) ويرافق "أبو رياض" إلى كافتيريا (سرمد).

تدخل (معبد المدى) وعلى شمالك المنضدون، (تتوسطهم الآنسة غادة العاملي التي قالت إن (المدى) أخذت منها كل أيامها، والغادة الأخرى – زوازو الطابق الأسفل – زنوبة فعلت قائلة: أنا في (المدى) غيري قبل ان التحق بها – وكتبت رجاء الغزي – خليها بعدين في الوقت الذي علق فيه المنضد حسين حيدر قائلاً (المدى) أخذت عافيتنا أما ماجد عبد الحسين جار الحورية الحوراء ميسم فقال: (المدى) ربع حياتي وكتبت عن الجنية الساحرة العينين ميسم تعليقاً هامساً يشبه خطواتها – (المدى)... موسيقى.. وقالت الأنيقة أحلام العامري – أحبها – قلت لها – تزوجيها إذن، فقالت إنها متزوجة. أما زميلها هشام فقال: خلصنا حجي –

خالد خضير قال: كل شيء هي (المدى) وفي قسم التصحيح قال الشاعر خليل الأسدي تربطني بـ(المدى) علاقة حب لا أدري كيف أصفها، بينما قال (معدل الكلمات) أبو مهند الأمين (المدى) هي الصدق والشفافية وقال زميله يونس الخطيب، هي خيمة الجميع وفي قسم المحليات قال سكرتير التحرير التنفيذي عبد الرزاق المرجاني، والمرجاني كتلة الحركة التي لا تهدأ (المدى) هي الآن حياتي.

المثقف قاسم محمد عباس مسؤول الصفحة الثقافية يقول لـ(المدى) الثقافية قارئها الخاص، لذا فهي لا تلح على موضوع دون سواه بل تسعى إلى تعميق جدل الثقافة.

– غرفة المثقفين التي يشغل مقعدها الأستاذ قاسم تضم شيخ الفولكلور العراقي الأستاذ باسم عبد الحميد حمودي، والسينمائي المبدع علاء المفرجي زميلنا المبدع عبد الزهرة المنشداوي يصف الأستاذ قاسم محمد قائلاً عنه: الفتى (المنوص) يقدم لي الجريدة حاملاً قنينة شربت الرمان بيد وكتب الصوفية الجديدة التي أصدرها عن دار (المدى) باليد الأخرى وقبيل أن يطل على القسم الثقافي يزور في طريقه القسم الفني ويطلع على ما تم تنضيده وتصميمه من الصفحة الثقافية للأيام التالية، وما أن يصعد إلى كرسيه العتيد حتى تبدأ (هواتفه وإيملاته) مع أدباء الداخل والخارج. ويجد الباحث الباهر المبهر الصافي ذو العبارة الأنيقة والمواضيع الشائقة يضع نظارته على مائدة الكتابة ويحلق مبهوراً بمملكة الكلمات.

أياد عطية شباب الشباب وماراثون الكتابة الذي لا يجارى وسيد الكلمة الصادقة الموضوعية.

عبد الزهرة المنشداوي ابن الشعب الضاحك راعي الكلمات المسرورة وقسيس البهجة الأسمر.

الشيخ باسم عبد الحميد حمودي قد سبقه، غرفة القسم الثقافي هي غرفة الضجيج الصامت وهي جارتنا نحن قسم التحقيقات خلية النحل الدؤوب، هنا حسين محمد عجيل رئيس القسم يدون لكل محقق خطوط ومحاور الموضوع الذي رسا عليه أن يحققه، وهناك عامر القيسي المحرر المبدع وقد خطفه العمل المكتبي وأنا أول من حرضه ويحرضه الآن على التمرد والعودة إلى العمل الميداني، مفيد زملاؤنا في الغرفة – سادة الرياضة – وأصحاب (المدى) الرياضي خالد محفوظ وفريقه الذي سجل أهدافاً لا تنسى على ملاعب الصفحة الرياضية وهي تلاعب الشخصيات الرياضية العراقية والعربية والأجنبية في كل مكان، تقول السيدة كريمة أم داليا زميلتنا في القسم الرياضي: وجودي في الجريدة اتاح لي الفرصة للالتقاء بكتاب كنت اقرأ لهم، وها أنا الآن معهم في المكان نفسه – أنا أحسد نفسي – كما إن وجودي في الجريدة أتاح لي لقاء شخص مقرب من العائلة بعد فراق دام أكثر من خمسة وعشرين عاماً، وكانت أخباره قد انقطعت عنها بشكل كامل.. شكراً لله أني هنا مع (المدى).

استراحة الروم ... استراحة (المدى)

هنا.. واحة المتعب، وإذا لم تكن مبتهجاً.. وإذا لم يضحك قلمك أو يشع سروراً فلا تدخل هذه الواحة أو معبد الفرح وإياك أن تقترب من الجميل الجميل جمال كريم والعندليب الأنباري شاكر والعاشق البائس دوريش الكلمات محمد علي درويش، جمال كريم يقول: (المدى) مدايا ويكتب الدرويش (المدى) مثل الحب الأول كلما تقدم عليه الزمن، زادك الحنين شوقاً إليه، إذاً هي الحب الأول، أو الحب الذي نسميه بالعامية (هوى تالي العمر جتال وأكثر من هوى أيام الصبا يعذب) – ويقول الأنباري نافذتها الأحلى الصفحة الأخيرة.. تحية أم يوسف ناشرة البهجة.

وزميلتي الهلالية سطرت هذه الكلمات الرقيقة في عيد (المدى) – عندما يريد الإنسان أن ينطلق بعيداً عن كل المتاعب لابد أن يطلق جناحيه للريح ويطلق صوته في (المدى)، وهنا لا يمكننا الابتعاد عن المتاعب لأننا نبحث عنها، لكننا قد يسهل علينا إطلاق أصوات كانت حبيسة... لتحلق في أجواء (المدى).

أبو حيدر – مدير التحرير المبدع شاكر – حين أدخل بناية (المدى) فإن أول ما يلفت نظري، نخيل الحديقة وأشجارها فأشعر وكأنني في مكان اليف وهذه الألفة تظل ترافقني طوال ساعات الدوام فثمة حرية سامقة يشعر بها المرء وهو يتنقل بين غرف الجريدة أو وهو يحاور الأصدقاء، ومتعتي الأولى صباحاً هي أن اتصفح (المدى).

زميلنا الأستاذ زهير رضوان رئيس قسم الترجمة، ما زال يبكي حاجته إلى حاسوب خاص، لكن من يعرف الزميل زهير وعذوبته التي ما بعدها عذوبة ينسى كل شكاويه ويتطلع إلى عينيه الضاحكتين في آفاق (المدى) بمحبة واحترام بانتظار طرفة انجليزية.

أما زميلنا الصابر على بلوى فقد الأحبة، حسام الساموك فما زال ينوع دروسه في الجهد والمواظبة على عموم شباب الصحافة، حيث يكتب ويعد الصفحة الاقتصادية وعمودها اليومي من دون كلل وبجدارة قل نظيرها.

زميلتي المكافحة عدوية الهلالي التي ما زلت أذكر لها نشاطها وبراعتها في تصدير الصفحة الأخيرة في جريدة النهضة زينت بجهدها إطلالة (المدى) من عبد الزهرة زكي – علق بسطر جميل قال فيه: (المدى) نريدها أن تكون مدرسة ونحن أول تلامذتها. هل نسيت زميلتي الرائعة آمنة عبد العزيز؟ وهل ينسى القمر؟ عذوبة الروح وحلاوة المعشر ورقة القلم حين تستدعى الرقة، وحدته حين تستدعى الحدة وهي في هذين اليومين (موعوكة) أتمنى أن تكون وعكة دلال ليس إلا.. أم سارة عندك العافية، أناديك باسم ابنتك لا باسم ولدك تحيزاً للأنثى فاقبليها مني.

وانتم بقية الزملاء والأخوة الكتاب من خارج كادر الجريدة تشاركوننا أعباءنا اليومية وتحملون عنا بعض الجهد لإخراج (المدى) كما يريدها القارئ العراقي صعب الإرضاء، لكم تحياتنا ومزيداً من التعاون من أجل (مدى) أكثر تقدماً.أما أنت يا صديقي (البستاني) فأنا أحسد عليك حديقة (المدى) عشبها وأزهارها ونخيلها واتملاك لحظة تنسق مظهرها وتسقي زهرها وتحاول أن تجلب الظل للرقعة المقهورة بشمس آب اللهاب وترطب بالماء شفة الحشائش وتديم خضرتها.

يسألني الأستاذ عامر القيسي القائم بأعمال رئيس قسم التحقيقات وهل نسيت الأستاذ سهيل سامي نادر؟ فأجيب بسرعة ومن ينسى الأستاذ طيبه، "وطيبه" هي الاسم الذي نتداوله فيما بيننا نحن زملاء الأستاذ سهيل سامي نادر لطيبة قلبه وخلقه الرفيع، وهو غائب هذا اليوم ولحظة إعداد هذا التقرير. تحية لك ولطيبة قلبك التي لا تعدلها طيبة عزيزنا أبا ياسر.. وإن انسى أنا صافي الياسري لا أنسى لك خوفك وتنبيهك لي وانا ألج المناطق الساخنة وحرصك على أن أعود سالماً فأنت تتذكر بقوة زملاءنا الشهداء وتتذكر إصابة زميلنا عبد الزهرة المنشداوي ومعاناته هو وعائلته في سامراء، وما أود أن اذكرك به هنا هو حاجتي الماسة إلى كاميرا وجهاز تسجيل وبخاصة بعد التعليمات الأخيرة التي حرمت نشر أي تحقيق صحفي دون صور، وهذا يعني ضمناً أني سأبقى عاطلاً عن الكتابة ما لم (تدبر لي) كاميرا.

ويسألني زميلي إياد عطية السؤال الذي دوخت به الزملاء وآن لهم أن يدوخوني به – ما علاقتك بـ(المدى)؟ قلت هي ملاذي الآمن الأخير.

وهي الصفحة التي أسطر على بياضها رسائل التسوق إلى مليكتي الخمسينية البارعة.

يقول أصدقائي وهم جميعاً من قراء (المدى) أنها فتحت لهم نوافذ على عوالم ما كانوا يحلمون بها، وأنها تضاهي أرقى صحف العالم كفاءة وقدرة.

ويقول حسن يوسف مسؤول قسم التوزيع (المدى) هي الصحيفة العراقية الوحيدة التي لا "مرجوع" فيها.

ويقول باعة الصحف – لا تسأل عن (المدى) بعد الساعة العاشرة صباحاً.

ويقول مسؤولو عدد كبير من الفضائيات والإذاعات المحلية والعربية والأجنبية، نحن نعتمد بثقة على أخبار وكتابات وتعليقات (المدى) فهي مجربة ومعروفة بصدقها وشفافيتها وجرأة طرحها وكتابها.

وكانت (المدى) قد قدمت على مدى العامين الماضيين أجرأ التحقيقات وأكثرها صدقية وموضوعية، فهي الجريدة العراقية الوحيدة التي فضحت خبايا وخفايا كوبونات النفط التي قدمها النظام المباد لبعض الجهات والشخصيات السياسية والإعلامية رشوة، وهي الجريدة العراقية الوحيدة التي طرقت المناطق الساخنة في الفلوجة والرمادي والقائم واللطيفية والحبانية وبعقوبة وسامراء وسلمان باك، وهي الجريدة الأكثر التصاقاً بقضايا الناس وهمومهم وقائمتها تحوي أكثر من سبق صحفي على أكثر من صعيد، وعلى هذه الأرضية فهي تحظى باحترام الجميع قراءً وكتاباً ومن شتى شرائح المجتمع العراقي ومكوناته وأطيافه، ومن المعروف أنها تنتهج سياسة مستقلة لا تتحيز ولا تتحسب إلا لمواثيق الشرف والأمانة وتتحلى أقلام كتابها ببراعة أدبية ومهنية صحفية عالية، ولا نقول ذلك لأننا نكتب على صفحاتها، بل ذلك ما يقوله ويشهد به زملاؤنا في الصحف الأخرى وبإمكان القارئ على سبيل المثال قراءة أسماء كتاب (المدى) الثابتين، أو ملاكها الأساس، في صفحة التحقيقات، وفي الصفحة الثقافية، أو صفحات المنوعات، أو الاقتصادية، كما إنهم يكتبون الأعمدة السياسية دون أن تختزل براعتهم أو تضعف قدراتهم وإمكاناتهم، وهم في الحقيقة يشكلون فريقاً متكاملاً تشده روح العائلة بانسجام يندر أن تجد مثيله في بقية الصحف، و(المدى) جريدة تصدر عن مؤسسة (المدى) الثقافية، بمعنى أنها لا يصدرها حزب أو حركة سياسية، وهي بهذا تمتلك حريتها كاملة، وقد وفر لها مؤسسها ومديمها الأستاذ فخري كريم كل مقومات الديمومة والاستمرار والانتشار والتاثير الفعال والنفوذ السياسي، وفخري كريم عراقي – إعلامي – أديب – سياسي – غني عن التعريف وهو رئيس مجلس السلم والتضامن ويعرف العراقيون جيداً تاريخه الشخصي وفكره التقدمي. واعترف أنه أذهلني ببلاغته في الإجابة عن سؤالي الذي توجهت به إليه بمناسبة احتفال (المدى) بمرور عامين على صدورها وسؤالي كان عن علاقته بـ (المدى) فقال بإخلاص وشاعرية لخصت عمره كله، – هي كل ما تبقى لي –، عندها قلت له ساكتفي بهذه الكلمات البليغة جواباً على سؤالي متمنياً له أن يعمر معها.

وبعد.. هل نسيت أحداً؟

نعم صديقي اللدود عمران السعيدي صاحب أحلى عينين في الجريدة المترجم الذي أذهلته انجليزيتي ولو علم أني اتقن الفرنسية وأغازل حبيبتي بلغة العصافير هذه لفتح عينيه على آخرهما.ومن المؤكد أني لم أنس قرائي الذين وصلت رسائلهم إلى رقم قياسي وهم يعلقون على كتابتي في زاوية بين قوسين منذ حب في برج الخمسين حتى مناديل الماء، وقارئاتي اللواتي ما زلن يتساءلن – من هي؟

وختاماً تحية إلى قسم المحاسبة واثق وزينة وحنان وكل عام و(المدى) تطوي المدى.